على رسال أمر :

الفـــــدائية الأولى (*)

للسيد عمر الخطيب

« في تاريخنا الزاهر نساء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » .

— ١ —

خرج محمد يستقبل وفد (يثرب) وقد بدت على وجهه متاعب ما يكابد من عنت وأذى ، ومعاندة واستهتار ، من هذه العصبة الفاجرة من قريش ، التي ألبت عليه القبائل ، وأغرت به الصبيان والسفهاء ، ودفعت إلى هجوه الشعراء ، يتعنونه تارة بالكاهن والساحر ، وطوراً بالمجنون والشاعر ، وهو صابر على أذاهم ، راض بقضاء الله فيه ، يتسع قلبه الكبير لهذه المكاره كلها ، وتطوى نفسه العظيمة على العبث الذميم ، فهو يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً ، وإذا أوسعه السفهاء شتما والصبيان رجما رفع يديه إلى السماء وقال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

وحين لمح صلى الله عليه وسلم الوفد اليثربي الكبير ، اختفت من وجهه سحابة الألم ، واستقبله باسما مرحباً ، وجلس يحدثه عن دعوته ، ويبين له مبادئ رسالته ، ويحثه على الصبر والشجاعة والتضحية ، ويعلن له أن شريعته لا ترضى بالظلم والسيودية ، ولا تقر الشرك والأوثان ، وتنفر من البغي والعدوان ... فإذا بالوفد يخشع ، وبالعيون تدمع ، وبالقلوب تجب ، وبالنفوس تصفو ، وبالأرواح تصفق ، فيتقدم الوفد اليثربي من الرسول مصافحاً مبايعاً ، يبايعه على أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يأمر بالمعروف ، ويسعى في الخير ، ويدعو إلى الله ويضحي في سبيله بالمال والنفس ... [1] .

وتقدمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك امرأة رزان ، تمشي على استحياء ، ويكسو محياها خفر المؤمنة التقية ، وصبر الأم الحنون ، وجلال من تملكت الخشية قلبه ، وبسالة من باع في سبيل الله روحه ... تقدمت تبايعه محمداً على الإيمان والتضحية والإقدام .. فبارك صلى الله عليه وسلم عهدها ، ودعا لها ، وأمرها أن تكون رسولا إلى ذاتها وأترابها ، تدعوهن إلى الإيمان ، وتفدوهن بلبان الإسلام ، حتى تجلى نفوسهن ، وتطهر قلوبهن ، وتسمو مكانتهن ، ويذلن حقوقهن ...

— ٢ —

بينا (أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية) تنتقل من دار إلى دار ، مبشرة بالإسلام ، داعية إليه نساء العرب ، تحضهن النصيحة ، وتزف إليهن البشرى ، وتحثهن على الخير والمعروف .. وإذا بصوت النفير ينساب من جوانب المدينة ، ويصل إلى أذنها ضئيلا خافتاً ، فيفزع فؤادها ، ويهز جوانب نفسها ، فتخف مسرعة إلى بيتها ، لتعرف الخبر من أهلها ، فإذا بها تفاجأ برهط من الصحابة مقبلين ، وقد لبسوا دروعهم ، وتقلدوا سلاحهم ، فعلمت (أم عمارة) أنها الحرب ، فانبلجت أسارير جبينها ، واستيقظت مشاعر فؤادها .. وأعذت السير حتى دخلت دارها ، فألفت ابنيها وزوجها يجلون سيوفهم ، ويصلحون لأمتهم ، ويسرجون جيادهم ، فانفرجت ثناياها عن ابتسامة الرضى والفرح ، وأقبلت على ابنيها تعانقهما وتقبلهما قبلة الوداع ... وهنا صاح بها هاتف من ضميرها الحي المؤمن أن اذهبي يا أم عمارة مع الرسول في غزوته ، تضمدين الجرحى ، وتعدين السقاء ، وتصلحين من شأن المجاهدين .. فلم تشعر إلا وقد انصرفت عن ابنيها ، وراحت تعدو نحو المجد ، لتلقي إلى الرسول بدخيلة نفسها ، وأمنية فؤادها ، لعله يسمح لها فتنال الشهادة في سبيل الله ؛ وتضع في بناء الإسلام لبنة المرأة الشهيدة (والفدائية الأول) ...

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عمارة بالخروج لغزوة

(*) في العدد ٧٧٩ من الرسالة قصة الفداء الأول أنس بن النضر) وهذه قصة الفدائية الأولى (أم عمارة المازنية) .

(١) تلك هي بيعة العقبة .

(أحد) مع زوجها وابنها ، فرجعت فرحة جذلة ، يرقص فؤادها طرباً ، وتزغرد روحها سروراً ، وأعدت للخروج عدته ، فجمعت العصائب ، وأصلحت الراشف ، وخرجت تحمي النفس بالشهادة ، وترنو إلى الجنة ، وترقب من وراء هذا النفع الثائر النصر المبين .

— ٣ —

شمرت الحرب عن ساقها ، وحمي الوطيس ، واحمرت الأحداق ، ولم يمض غير قليل حتى التحم الفريقان : جيش محمد وجيش أبي سفيان ، فجاجات السماء بالتكبير ، وصدق فرسان الإسلام الحملة ، وأعملوا في رقاب المشركين السيوف ، وثبتوا ثباتاً اخلخلت له قلوب أعدائهم ، وزلزلت قوائم ، ووهنت عزائمهم وإذا بهم يولون بالفرار ، أمام هذه الوثبات الجبارة من هذه الأسود المؤمنة . وظن الرابطون على الجبل أن المعركة قد انتهت ، فانصرفوا إلى الغنائم ، وكانت هذه فرصة لجيش قريش ، فكر راجعاً وعزم على أن يمحو الإسلام ، ويبطش بمحمد ، واستماتت المشركون في الهجوم ، وعلوا أنفسهم بالحياة بعد الموت ، وبالنصر بعد الانهزام ...

رأت أم عمارة كتيبة من الأبطال المغاوير ثابتين حول محمد يردون عنه ، ويقاتلون دونه ، وقد آلوا أن يفدوه بأرواحهم ، ويموتوا أمامه عن آخرهم ، فثارت بها حمية الإسلام ، وأيقنت أنها ساعات فاصلة في تاريخ هذا الدين ، وتمثلت أمامها الجنة الوارفة الظلال بسلسبيلها ونعيمها وخلودها ، ورأت أن ليس بينها وبين الجنة وما أعد الله فيها للشهداء إلا أن تجود بهذه الروح ، وتهرب من هذه الدنيا ... وذهبت تطوف بخيالها في جوانب هذا العالم المنشود ، وتمتع الروح بهذه الأماني العذبة ، والآمال العطرة ... ولم يردها إلى الواقع التي هي فيه إلا صياح قريب تراءى إلى أذنها ، وصوت قوي يقول (دلوني على محمد لا نجوت إن نجا) . فنظرت أم عمارة فإذا (بابن قميئة) يعدو والسيف بيده قاصداً رسول الله ، فأظلمت الدنيا في وجهها ، وربت ربوة شديدة ، وزأرت زئير اللبوة دبس عريتها ، وانتضت حسامها البتار ، وأقبلت تعترض طريق ابن قميئة ... وتستقبل ضرباته بصدرها وكتفيها ، حتى ردت هذا الوحش الهائج عن محمد ، وأكرهته على الفرار حتى ليقول الرسول صلوات الله عليه (ما التفت يميناً وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني) .

ورأت أم عمارة ابنها ، وفي ذراعه جرح ينزف الدم فأقبلت نحوه تعصب جرحه وتضمده ، ثم تحمزه إلى العمل ، وتلقي عليه دروس الصبر والبطولة فتقول : (قم يا بني فضارب القوم وجاهد في سبيل الله ...) فيقوم الفتى الباسل ، ترب الشجاعة ، والدة الإقدام ، ويمشي نحو سيف ملقى بجانبه ، ليعاود الكر والفر ، ويقاتل في سبيل الله . وهنا تمتد من رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة فيرى هذا المشهد المؤثر فيمتلئ قلبه إكباراً وحباً ويقول : (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟) ويلتفت عن يمينه فيرى رجلا مقبلا يخب في سيره ، ويلتفت يمنة ويسرة فيقول الرسول : (يا أم عمارة هذا الذي ضرب ابنك) وما إن سمعت أم عمارة نداء الرسول حتى اهتز كيانها ، ووثب جنانها ، وأسرعت تعترض طريقه ، وقد آلت أن تثأر لابنها ولإخوانه الذين جرحوا واستشهدوا في سبيل الإسلام ، ثم شهرت في وجهه سيفها وضربت به ساقه وصدره ، فوقع قتيلا يتخبط بدمه ...

ورأى رسول الله هذه البطلة تثأر لابنها ، وتقتص من جرحه فتملكه إعجاب شديد ، وابتسم حتى بدت نواجذه وقال لها : (استقدت يا أم عمارة ، الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك) .

ولم تكد أم عمارة تجهز على فريستها ، وتمسح حد سيفها ، وتلقي به في غمده ، حتى سمعت تصايحاً ، ولمحت غباراً ، ونظرت فإذا بها ترى ثلة من مشركي قريش ، قادمين نحو محمد ، وفي عيونهم حنق وشر يريدون قتل الرسول واستئصال المدافعين عنه فتحسست مقبض سيفها ، ثم سلته من غمده ، وعلمت أن حديثه لم ينته ، وأن لسانه لن يسكت ، وأنه ما زال به شوق إلى الدم ، وشغف بأعناق المشركين فاستلته وصاحت (الله أكبر الله أكبر) وهمت أن تعدو نحوهم ... لتؤدبهم مرة أخرى ، وترجع برأس قائدهم الطاغية ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مولياً ومعه ترس فصاح به : (ألق ترسك إلى من تقاتل) . فألقى الرجل ترسه وتناولته أم عمارة ونهضت إلى المشركين . وهنا أقبل عليها

فاستقبلت ضربته بالترس ، وأهوت بضربة قوية على عرقوب فرسه فوقع على ظهره ، يفحص بقدميه . وخشي الرسول أن ينهض هذا الدائر فيقتل أم عمارة فصاح بابنها (يا ابن أم عمارة ، أمك أمك فماوتها) فانقض الفتى سيفه وتقدم من الفارس الدائر وعاون أمه على القضاء عليه ولم يتركاه إلا جثة هامدة ...

— ٤ —

انصرف (ابن قميئة) إلى صحبه بعد أن ردته أم عمارة خاسئاً ذليلا ، يحمسهم ، ويقسم عليهم باللات والعزى ، أن يقتلوا محمداً ويستأصلوا دعوته ، ويبيدوا صحابته ، وينصروا آلهتهم ... وما زال بهم حتى أثار حفائظهم ، وأذكى قلوبهم ، وأحمى دماءهم فقاموا يقصدون محمداً ...

ورأت أم عمارة ابن قميئة مقبلا قد عاد ثانية مع أصحابه بعد أن ردته على أعقابه خاسراً ، فعلمت أنه قد بيت أمراً وأراد شراً فلم تجزع ولم تجبن ، بل تطلعت نحو السماء ، تستلهم الدين والقوة ؛ وتقدمت تدافع عن الرسول ، فتجندل الفرسان ، وتصرع الشجعان ، وتتلقى الضربات ثابتة الجنان ، صابرة راضية مطمئنة حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، ولم ترجع إلا مرفوعة الهامة ، موفورة الكرامة ، قد ردت مع إخوانها عدوان المشركين ودافعت عن قائدها العظيم ... والرسول الأمين ...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء تتدفق من جراحها فصاح بابنها (أمك أمك . اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ...) وسمعت أم عمارة رسول الله يثني عليها هذا الثناء ويطري عملها ويبارك جهادها ، فطابت نفسها ، وقرت عينها وقالت (يا رسول الله ، ادع الله أن يرافقك في الجنة) ثم تركت لدموعها الحديث . وهنا رفع محمد يديه إلى السماء وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال : (اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة) ، فقالت أم عمارة : (ما أبالي ما أصابني من الدنيا بعد هذا الدعاء) ثم ألقت رأسها في حجر ابنها ، ونامت متأثرة بجراحها ، فخورة بجهادها ، قد اطمأن ضميرها ، وقر فؤادها ... ثم أرخى الليل جناحه ، وغمر المدينة بظلام وسكون ...

— ٥ —

نظرت (أم عمارة) وكان لا يزال رأسها في حجر ابنها فرأت الشمس ساطعة ، والنهار مشرقا ، وسمعت المنادي يدعو إلى الجهاد والناس يسرعون في الاستعداد ، والمدينة في حركة دائبة ، وعمل مستمر فعاودها الحنين للقتال ، وصاح بها هاتف من ضميرها مرة أخرى يقول : (إلى حمراء الأسد(١) يا أم عمارة ... إلى الثأر من المشركين إلى أعداء كلمة الله .. ورفع منار الإسلام) فهبت واقفة وأرادت أن تخطو إلى الأمام لتحمل سيفها وتهاجر إلى الله وتجاهد في سبيله ، ولكنها عجزت عن المسير ، وأقعدتها الجروح الدامية فسكتت تبكي وتندب حظها العاثر ، وتعلل النفس بالجهاد القريب تحت راية محمد ، وانصرف أهلها يضمدون جروحها ، ويخففون عنها ، حتى أقبل الليل ... فنامت دامية الجسد حسيرة الفؤاد ...

القاهرة

عمر الخطيب
(فتى الفيحاء)

(١) هي الغزوة التي تلت غزوة أحد

عالم الـــذرة
أو
الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نوبل الحراد

كتاب صدر في وقته ، يشرح لك ما لا بد أن تعرفه عن الذرة ونواتها وفلقها وطاقتها وآثارها في مستقبل العلم ، وعن القنبلة الذرية وتجاربها وانفجارها وآثارها في مستقبل الإنسان .

يطلب من دار الرسالة . ومن المؤلف بشارع البورصة الجديدة رقم ٢ ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٠ قرشاً بخلاف أجرة البريد .